المجلة التاريخية المصرية ٥٠ (٢٠١٦)، ١٠٣ ـ ١٣٨

جُهُودُ الدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ الكَوَارِثِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالأَوْبِئَةِ وآثَارِهَا خِلالَ القُرُونِ الثَّلاثَةِ الأُولَى (٦٢٢ ـ ٩١٢م)

(بِلادُ الشَّامِ نَمُوذَجًا)

صالح بن عبد الله بن محمد الزهراني(*)

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ...

فقد حَظِيَت حياة الأمة الإسلامية في عصورها الأولى بقدْرٍ وافرٍ من البحث في كل جوانبها، إلا أنَّ دراسةَ ما تعرَّضَتْ له الأمة الإسلامية في تلك الفترة من كوارثَ وأزماتٍ وطرق معالجتها أمرٌ لا يزال يحتاج إلى دراسات عميقة؛ لأنها من الموضوعات التي لم يُسْبَر غَوْرُها بشكلٍ عميقٍ في الدراسات التاريخية.

فدراسة هذا الجانب من التاريخ الإسلامي في صدره الأول تقدِّم صورة أخرى من أحداثه في تلك الفترة، كما نتعرَّف من خلالها على تعامل قادته مع هذه الكوارث والمشكلات في بداية تكوين وحدتهم السياسية

(*) ماجستير من جامعة أم القرى ـ كلية الشريعة ـ قسم التاريخ، باحث في مرحلة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي.

والاجتماعية، كما تعطينا بُعدًا أعمق لما تميَّزت به الأمة الإسلامية وقادتها من حِنْكة وبُعد نظر.

وهذا البحث يعرض جهود الدولة الإسلامية، بمراحلها السياسية المتنوعة في القرون الثلاثة الأُولى، في هذا الجانب، وذلك وفْق ما أُتيح لهم من قدرات وإمكانات في ذلك الوقت. وقد اشتمل على مقدمة وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، ثم مراجع البحث.

ـ المقدمة وهي هذه.

ـ التمهيد: إشارة لمعالجة القرآن والسُّنَّة وبعض الخلفاء الراشدين مثل هذه الأمور.

ـ المبحث الأول: الأوبئة والطواعين

ـ المبحث الثاني: الزلازل

ـ المبحث الثالث: القحط وغلاء الأسعار والمجاعات

ـ المبحث الرابع: الآفات الزراعية

ـ خاتمة بالنتائج والتوصيات

ـ المصادر والمراجع

تمهيد

قدَّم القرآن الكريم نماذج للمعالجات الحكيمة للأزمات الطارئة، مثل الأزمة الاقتصادية في عصر يوسف عليه السلام[١].

كما جاءت السُّنَّة النبوية بتنظيمات وقائية لمنع وقوع الأزمات، وبيَّنتْ ما ينبغي فعله في أثناء الأزمة، وما يترتب على هذه الأزمة، فتكاملت الأدوار التنظيمية لإدارة أيَّة أزمة عبر مراحلها الثلاث (قبل ـ في أثناء ـ بعد).

وسار الخلفاء الراشدون على هذا النهْج، وقدَّموا ما أمكن للسيطرة على الكوارث، ومعالجة ما ينتج عنها، وسنستعرض بعض هذه الجهود في ثَنَايا هذا البحث.

في بلاد الشام واجَهَ الخلفاء هذه الكوارث بكل ما يَقْدِرون عليه، وكانوا كثيرًا ما يلجؤون إلى الله تعالى لاتِّقاء هذه الكوارث.

كما أنَّ الأمويين جعلوا سبيل الخُمس[٢] سبيل الفَيْء أحيانًا؛ حُكْمُه للإمام، إنْ رأى أن يجعله لمَنْ سمى الله جعلَهُ[٣]، وإنْ رأى أن الأفضل للمسلمين أن يضعه في

---

(١) للاستزادة انظر: الآيات من آية ٤٣ ـ ٤٩ من سورة يوسف، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم، بيروت ـ دار المعرفة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٢: ٥٠٠، ٥٠١، وسوسن الشيخ: إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، ط ١، القاهرة ـ دار النشر للجامعات ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤٩ ـ ٦٠.

(٢) الخُمس: فرض مالي محدد بنسبة الخُمس، يتعلق بأنواع من المال؛ منها: غنائم الحرب، والركاز العادي، وما يكون من غوص أو معدن، انظر: القاسم بن سلام: الأموال، تحقيق مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ـ مؤسسة ناصر للثقافة ١٩٨١م، ١٤.

(٣) قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، وانظر للاستزادة: القاسم بن سلام: المصدر السابق، ١٤.

بيت مالهم لنائِبَةٍ تنوب بهم أو مصلحةٍ تعن لهم ، مثل سد ثغْرٍ ، وإعداد سلاح[١] .

ومما يُذكَر لعبد الملك بن مروان(٦٥ ـ ٨٦هـ/٦٨٥ ـ ٧٠٥م) أنه لمَّا سَمِعَ بما أحدَثَهَ سَيْلُ الجحاف سنة (٨٠هـ/٦٩٩م) بمكة المكرمة من جرفٍ للناس وهدْمٍ للدُّورِ فزع لذلك ، وبعَثَ بمالٍ عظيم ، وكتب لعامله على مكة عبد الله بن سُفْيان المخْزُومي بأن يعمل ضفائر[٢] للدور الشارعة على الوادي ، ويَرْدِم[٣] على أفْواهِ السككِ[٤] ؛ مما يدل على حرص الخلفاء على معالجة آثار الكوارث ، ولعل هذا يستوقف الباحث للتعريف بالكوارث الطبيعية والأوبئة ، فيقول : إن الكوارث جمع كارثة ، وتعني : المصيبة العظيمة والخراب الواسع ، والكوارث الطَّبيعيَّة : هي المصائب الراجعة إلى الطبيعة ، كالزلازل والفيضانات والأعاصير[٥] .

والأوبئة : جمع الوَبَاء ، والوباء هو كل مرض عام ، وقيل هو الطاعون خصوصًا[٦] .

---

(١) القاسم بن سلام : المصدر السابق ، ١٤، ١٣٣ ـ ١٣٦؛ ونجدت خماش : الشام في صدر الإسلام ، دمشق ـ دار طلاس ، ٣١٤.

(٢) الضفائر : البناء بحجارة بغير كلس ولا طين ؛ ومنه : وضفر الحجارة حول بيته ضفرًا ، انظر : ابن منظور : لسان العرب ، بيروت ـ دار صادر ٢٠٠٨م ، ٩: ٥٠.

(٣) الردم : جمعه ردوم ، وهو سدُّكَ بابًا أو مدخلًا أو نحو ذلك ، وقيل : الردم أكثر من السد ؛ لأنه ما جعل بعضه فوق بعض . ابن منظور : لسان العرب ، ٦: ١٣٨.

(٤) الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ، مكة المكرمة ـ مكتبة الثقافة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ٢: ١٦٨.

(٥) انظر : أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، القاهرة ـ عالم الكتب ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، ٣: ١٩١٨.

(٦) انظر : الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، : القاموس المحيط ، تحقيق محمد نعيم العرقسُوسي ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ٥٥.

المبحث الأول

الأوبئة والطواعين

وردَتْ عن النبي ﷺ أحاديثُ تحضُّ على الوقاية والتداوي؛ كقوله ﷺ: «ما أنزلَ اللهُ داءً إلا أنزلَ له شفاءً»[١].

وقوله ﷺ: «ما ملأَ ابنُ آدم وعاءً شرًّا من بطنٍ، حسْب ابن آدم أكلات يقمْنَ صُلْبَه، فإنْ كانَ لا مَحَالةَ فثُلُث طعام، وثلث شراب، وثلث لِنَفَسِه»[٢].

وقد كانت عناية الإسلام بالصحة عناية لا نظير لها في أي دين آخر؛ فالنظافة فيه عبادة وقُرْبة، بل فريضة من فرائضه، فكُتُب الشريعةِ تبدأ أول ما تبدأ ببابٍ عنوانُه الطهارة، أي: النظافة، وقد أشاد القرآن والسنة بالنظافة وأهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [الآية ٢٢٢ من سورة البقرة]، وأثنى على أهل مسجد قِباء فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [الآية ١٠٨ من سورة التوبة]، وقال النبي ﷺ: «الطهورُ شطْرُ الإيمانِ»[٣].

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، القاهرة ـ دار الفجر ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٤: ٣٤، ورقم الحديث ٥٦٧٨. للاستزادة: صحيح البخاري، كتاب الطب، ٣٤ ـ ٥٦.

(٢) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه السيد أبو المعاطي النوري وزملاؤه، بيروت ـ عالم الكتب ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٥: ٨٥٤، ورقم الحديث ١٧٣١٨. وإسناده صحيح. وانظر: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤: ١٦.

(٣) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، بيروت ـ عالم الكتب ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١: ٢٠٣، ورقم الحديث ٢٢٣.

كما رغَّبَ الإسلام في العناية بصحة الأجسام، وحرَّمَ المُسْكرات والمفترات، وأنكر على مَن حرَّم ما أحل الله من الطيبات: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الآية ٣٢ من سورة الأعراف].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الآية ٨٧ من سورة المائدة].

كما نهى عن الإسراف في الطعام والشراب خشية الإضرار بالبدن؛ قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية ٣١ من سورة الأعراف].

بل نهى الإسلام عن إضرار البدن وإن كان في صورة العبادة؛ فقد أنكر النبي ﷺ على رهْطٍ من أصحابه أراد أحدهم أن يقوم الليل فلا ينام، والثاني أن يصوم الدهر فلا يفطر، والثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج، وقال لهم: «أَمَا واللهِ إنِّي لأخشاكم للهِ، وأتقاكم له، لكني أصومُ وأفطِرُ، وأصلي وأرقدُ، وأتزوجُ النساءَ، فمَنْ رَغِبَ عن سُنتي فليس مني»[(١)(٢)].

يقول ابن القَيِّم: في قوله ﷺ: «لكل داء دواء» تقويةٌ لنفس المريض والطبيب، وحثٌّ على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه؛ فإن المريض إذا استشعرت نفسُه أن لِدائه دواءً يزيله تعلَّق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارةُ اليأس، ومتى قويت نفسُه انبعثت حرارتُه الغريزية، وكان ذلك سببًا لقوة الأرواح الحيوية والنفسانية والطبيعية، ومتى قويتْ هذه الأرواح قويت القوى التي هي حاملةٌ لها، فقهرت المرضَ ودفعَتْه، وكذلك الطبيبُ إذا عَلِمَ أن لهذا الداء دواءً أمكنَه طلبه والتفتيش عليه»[(٣)].

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ٣: ٤٢٧، ورقم الحديث ٥٠٦٣.

(٢) موقع الشيخ يوسف القرضاوي على الشبكة الإلكترونية: http://www.qaradaw.net، من كتاب: فتاوى معاصرة، الجزء الأول، الخميس، ٢٠٠١/٧/٥م. (بتصرف).

(٣) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣: ٨١٧ - ٨١٨.

وقد حرصت الدولة الإسلامية في قرونها الأولى على مواجهة الأوبئة عبر تنظيم إسلامي يراعي ما قبل المرض وفي أثنائه وبعده، فقد كانوا يحثون القادة والولاة عند بناء المدن وتمصيرها على اختيار الموقع الذي تتوفر فيه الشروط الصحية، وفي هذا يقول ابن خلدون: «اعلمْ أن المدن قرار تتخذه الأممُ عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه، ولمَّا كان ذلك القرار والمأوى وجب أن يُراعَى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع، وتسهيل المرافق لها.

ومما يُراعَى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض؛ فإن الهواء إذا كان راكدًا خبيثًا، أو مجاورًا للمياه الفاسدة أو مروج خبيثة أسرع إليها العفن من مجاورتها»[١].

وقد تميَّزتْ بلاد الشام بصحة هوائها[٢]؛ كما امتازت مدنها بـ«غزارة مياهها، وجمال أشجارها وبساتينها»[٣]، مما أضفَى عليها جوًا صحيًا متميزًا، و«يُذكَر عن حِمْص أنها كانت أصح بلاد الشام هواءً وتُرْبَة»[٤] «وأنطاكية موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء»[٥].

ورغم هذا فقد ابتُلِيَت الشام بالطواعين والأوبئة، ولعل ذلك لكثرة سكانها وتمركزهم بشكل عشوائي خاصة خلال العصر الأموي[٦].

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١: ٣٧٠.

(٢) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ـ دار صادر، ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٣) ناصر محمد علي الحازمي: الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ٤٩٢ ـ ٦٩٠هـ، رسالة دكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ١٠٦.

(٤) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ١٨٤.

(٥) المصدر نفسه، ١٥٠.

(٦) للمزيد انظر: مصطفى شاكر: جنوب بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢ ـ ٥٣٥٨، عمان ـ منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام ١٩٩٢م، ٦.

وكان أول هذه الأوبئة طاعون عمواس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ وتزامنت معه تلك المجاعة التي وقعت في الجزيرة العربية، بخاصة في المدينة النبوية وماحولها، فسُمِّيَ ذلك العام عام الرمادة[١].

يقول ابن كثير: «إن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عَسَّ المدينة ذات ليلة عام الرَّمادَة فلم يجد أحدًا يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم ير سائلا يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين، إن السُّؤَّالَ سألوا فلم يُعْطَوْا فقطعوا السؤالَ، والناسُ في همٍّ وضيقٍ لا يتحدثون ولا يضحكون»[٢].

وقد واجه عمر ـ رضي الله عنه ـ المجاعة بقوةٍ وحكمةٍ، وسعى لجلْب الطعام من مصر والعراق والشام، وأشرف بنفسه على توزيعه، كما أخَّر جِباية الزكاة، ولم ينفِّذ حدَّ السرقة عام المجاعة لشُبهة الاضطرار[٣]، وأجرى الأقوات على المسلمين، وكان يرزق الضعفاء القوت، ونهى عن الحكرة[٤] حاطبًا وغيره[٥].

---

(١) وذلك أن الأرض كلها صارَتْ سوداء فشبهت بالرماد، كما أن الأرض كانت تسفى إذا ريحت ترابًا كالرماد فسُمِّي ذلك العام عام الرمادة، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٢: ٥٠٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب، مكة المكرمة ـ المكتبة التجارية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ٧: ٨٥ ـ ٨٦.

(٣) الطبري: تاريخه، ٢: ٥٠٨ ـ ٥٠٩. وابن كثير: البداية والنهاية، ٧: ٨٥ ـ ٨٦؛ وصلاح التيجاني: معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة في عام الرمادة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد الإسلامي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، مركز النشر العلمي، ١: ٧٩.

(٤) تحَكَّرَ: احتكار الطعام، جمعه وحبسه يتربص به الغلاء، وهو الحُكرة بالضم. الجوهري: معجم الصحاح، بيروت ـ دار المعرفة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٢٥١.

(٥) ابن حبان البستي: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تصحيح وتعليق السيد عزيز بك، ـ مؤسسة الكتب الثقافية ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٤٧٦.

ولمَّا عَلِمَ بالطاعون في أثناء مسيره إلى الشام اتَّخذ الاحتياطات لحماية المسلمين؛ عملًا بقوله ﷺ عند وقوع الطاعون: «إذا سمعْتُمْ به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه». وهذا الحديث الشريف أساس الحَجْر الصِّحِّي الذي لم يُعرَفْ إلا في القرن العشرين[١].

ولمَّا فحش أثرُ الطاعون بالشام أجمع عمر المسير إليه ليقسم مواريث مَن مات من المسلمين؛ فإنه أشكل قَسْمُها على المسلمين، ففعل ذلك سنة (١٨هـ/ ٦٣٩م)، ورجع إلى المدينة في ذي الحجة[٢]، فورَّث بعض الورثة من بعض وأخرجها إلى الأحياء من ورثة كل منهم[٣].

ولمَّا بلغَه موت أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ ويَزِيد بن سُفْيان أمَّر معاويةَ بن أبي سفيان على جند دمشق وخَرَاجِها، وأمَّر شُرَحْبيل بن حسنة على جُند الأردنِّ وخراجها[٤]، وهذا الإجراء كان ضروريًا لسد الفراغ في القيادة، كما أنه ذو أبعادٍ سياسية ونفسية على عموم المسلمين في بلاد الشام.

وقد كان عمرو بن العاص أول من فَطِنَ من قادة الشام إلى أن سكنى الجبال من أنْجَع الأمور المضادة لاشتعال الطاعون؛ لذلك أمر الجيش أن يرفعوا من المدن والقرى والدَّساكِر[٥] إلى رءوس الجبال حيث البرودة والهواء النقي الذي لا يتلوث

---

(١) الطبري: التاريخ، ٢: ٤٨٦. وعبد الرزاق الكيلاني: الحقائق الطبية في الإسلام، دار القلم ـ دمشق ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١٣٢.

(٢) الطبري: التاريخ، ٢: ٤٩٠. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧: ٧٤. ابن خلدون: تاريخه، ٢: ٥٣٠؛ ابن الوردي: تتمة المختصر في تاريخ البشر، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١: ١٤١.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون، بيروت ـ دار المعرفة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٢: ٥١٧.

(٤) ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ٤٧٧.

(٥) الدساكر: الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم، والجمع الدساكر، يكون للملوك، وهو مُعَرَّب، ابن منظور: لسان العرب، ٥: ٢٥٧.

بالأوبئة[١]، وذلك استجابة لتوجيه الخليفة عمر بنالخطاب الذي وجّه أبا عبيدة قائلا: «فإنك أنزلت الناس أرضًا غمقة[٢] فارفعْهُم إلى أرضٍ مرتفعة نَزِهَة»[٣].

ويذكر الطبري: «أن عمرو بن العاص لما رأى فتك الطاعون بالجند أصدر أمره إلى الجميع، مرضى وأصحاء، بأن يرتفعوا بأنفسهم إلى قمم الجبال حيث قال: «أيها الناس، إن هذا الوجع إنما يشتعل اشتعال النار، فتجبلوا منه في الجبال. ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ورفع الله الطاعون عنهم. قالوا: فبلغ ذلك عمر بنالخطاب من رأي عمرو بن العاص فوالله ما كرهه»[٤].

ولم يكن اهتمام الخلفاء بالمسلمين فحسب؛ بل امتد اهتمامهم حتى بأهل الذِّمَّة في الجانب الصحي، فقد ذكر البَلاذري أن عمر بن الخطاب لما مَرَّ بالجابية من أرض دمشق مر بقوم مجذومين من النصارى، فأمر أن يُعْطَوْا من الصدقات، وأن يُجرَى عليهم القوت[٥].

عناية الخلفاء بالمرضى والزمنى والمطعونين

كما سلك الخلفاء الأمويون سلوكًا مهمًا لتجنب الأوبئة والطواعين، نظرًا لكثرة الطواعين في عهد دولتهم؛ فقد ذكر ابن حجر العسقلاني أن بعض المؤرخين

---

(١) محمد أحمد باشميل: حروب الإسلام في الشام، دمشق ـ دار الفكر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٢) أرض غمقة أي: وخيمة، يقال: غمقت الأرض غمقًا فهي غمقة، أصابها ندى وثقل ووخامة، وبلد غمق: كثير المياه رطب الهواء، والغمقة القريبة من المياه والخُضر والزُّرور، فإذا كانت كذلك قاربت الأوبئة. والغمق في ذلك فساد الريح وخمومها من كثرة الأنداء فيحصل منها الوباء. ابن منظور: لسان العرب، ١١: ٨٧.

(٣) الطبري: التاريخ، ٢: ٤٨٨. والأرض النزهة: البعيدة من الريف. ابن منظور: لسان العرب، ١١: ٨٧.

(٤) الطبري: التاريخ، ٢: ٤٨٨. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢: ٥١٥.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١٣٥.

كان يقول: «إن الطواعين فيزمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشام؛ حتى إن خلفاء بني أمية إذا قرب أوانه[١]، وجاء زمن الطاعون يخرجون إلى البوادي والصحراء»[٢].

واهتموا كذلك باستعداد الناس الصحي والنفسي للجهاد؛ ومِن ذلك أنه لمَّا أصاب الناس طاعون في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (٨٠هـ/٦٩٩م) لم يكن في تلك السنة غَزْوٌ[٣] تقديرًا لأحوال الناس وظروفهم.

ومن جهود الدولة الأموية لمواجهة الأوبئة ما قام به الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ/٧٠٥ - ٧١٥م) من إنشاء أول بِيمَارِسْتان[٤] في الديار الإسلامية[٥] سنة (٨٨هـ)[٦]، وتخصيص مستشفى للمجذومين[٧]، واتخاذ

---

(١) ابن حجر: بذل الماعون في فضل الطاعون، الرياض - دار العاصمة ١٤١١هـ، ٢٢٣. وهذا يدل على أن الطاعون له أوقات محددة وعلامات معروفة عند الناس.

(٢) المصدر نفسه، ٣٦٣. وانظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ١٩٨.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ، بيروت - دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ١٧٦.

(٤) بِيمَارِسْتَان: كلمة من أصل فارسي تَعني دار المرضى. (الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت - دار العلم للملايين ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٣: ٩٧٨؛ وأيضا ابن منظور: لسان العرب، ٦: ٢١٧).

(٥) عبد الرحمن الأربلي: خلاصة الذهب، تصحيح وتعليق مكي السيد، بغداد - مكتبة المثنى، ١. ومحمد خوام ورفاقه محمد عفت وحسن إبراهيم: تاريخ العلاج والدواء في العصور القديمة (العصر الإسلامي - عصر النهضة في أوروبا)، الرياض - دار المريخ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ٧٥.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، تحقيق محمد عبد القادر، بيروت - دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٦: ٢٨٧. وعبد عون الروطنان: موسوعة تاريخ العرب، عمان - الأهلية ٢٠٠٤م، ٢: ١٢١.

(٧) مؤلف مجهول: العيون والحدائق في إخبار الحقائق، بغداد - مكتبة المثنى، ٤، وأحمد عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة - دار الفكر العربي ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ١٦٤. وقد حدد موقعه في مرج العذراء إلى الشمال الشرقي من دمشق، ويذكر عبد علي ياسين أنه يبعد عن دمشق حوالي ٢٠ كيلو مترًا، ولا يزال يحمل هذا المستشفى اسم مستشفى الوليد. انظر كتابه: تاريخ صدر=

ديوان للزَّمْنَى[١] بدمشق، وجعَلَ عليه إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي[٢]، وقال له: «لأدعن الزَّمِن أحبَّ إلى أهله من الصحيح»[٣].

كما فرض الوليد للمجذومين، وقال: لا تسألوا الناس[٤]، وأوقف عليهم بلدًا[٥]، وأمر بإعطاء الزمنى[٦].

«وعند ابن عساكر أن صاحب الرقيق جاء إلى عمر بن عبد العزيز(٩٩ ـ ١٠١هـ/٧١٨ ـ ٧٢٠م)، فسأل أرزاقَهم وكِسْوَتَهم وما يُصْلِحُ حالَهم؛ فقال عمر: كم هم؟ قال: كذا وكذا ألفًا. فكتب إلى أمصار الشام أنارفعُوا إليَّ كل أعمى في الديوان أو مُقْعَدٍ أو مَن به الفَالِج[٧]، أو مَن به زمانة تَحُول بينه وبين القيام

=الإسلام من البعثة النبوية وحتى نهاية الدولة الأموية، عمان ـ دار يافا ٢٠٠٣م، ٤٠١.

(١) الزَّمْنَى: المصابون بأمراض مزمنة كالعاهات، وهو مايُسمَّى الآنَ الشَّلَل. ابن منظور: لسان العرب، ٧: ٦ (بتصرف).

(٢) إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب الخُزاعي كان على ديوان الزَّمْنَى بدمشق، وهو من أهلها، وسكن الأردنَّ، ووليها لهشام بن عبد الملك. بدران: تهذيب تاريخ دمشق، دمشق ـ المكتبة العربية ١٩١١م، ٢: ٤٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ٢: ٤٥٢.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت ـ دار الفكر ١٤١٧هـ/١٩٩٦، ٨: ٧٢؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، صيدا ـ المكتبة العصرية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٥: ١٥٨؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور وأحمد دراج، مكة المكرمة ـ مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ٦٥؛ القرماني: أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، بيروت ـ عالم الكتب ١٤١٢هـ/١٩٩٢، ٣٢؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، القاهرة ـ دار الآفاق ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٢: ١١٣.

(٥) ابن دقماق: الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، ٦٦.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠: ٥.

(٧) الفَالِج: ريح يأخذ الإنسان فيذهب بشقه، وقد فُلج فلجًا فهو مفلوج؛ لأنه ذهب نصفه، وهو داء يرخي بعض البدن. ابن منظور: لسان العرب، ١١: ٢١٥.

إلى الصلاة، فرفعوا إليه فأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم»[١].

وذكر ابن عبد الحكم: «أن عمر بن عبد العزيز كان إذا كَثُرَ عنده أرقاء الخمس فرَّقه بين كل مُقعدين وبين كل زَمِنين غلامًا يخدمهما، ولكل أعمى غلامًا يقوده»[٢].

وقد شاركت المرأة في العصر الأموي في العناية والاهتمام بالمرضى؛ من ذلك أن فاطمة بنت عبد الملك بن مروان أقامت دارًا للضيافة لتكون مأوى للمكفوفين في منطقة العقيبة في دمشق[٣].

«ولما وَلِيَ الوليد بن يزيد (١٢٥ ـ ١٢٦هـ/٧٤٣ ـ ٧٤٤م) أجرى على زمنى أهل الشام وعميانهم، وأمر لكل إنسان منهم بخادم»[٤].

كما اهتم الخلفاء الأمويون بالطب، وأنشأوا البيمارستانات لعلاج المرضى، وقد خطا الطب في عهد عمر بن عبد العزيز خطوة إلى الأمام؛ وذلك بنقله تدريس الطب من الإسكندرية إلى أنطاكية وحران، وذلك بنقل الطبيب عبد الملك بن أبجر الكتاني[٥]، كما استعان بطبيب يُدْعَى

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٤٥: ٢١٨.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تصحيح وتعليق أحمد عبيد، بيروت ـ عالم الكتب ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٥٤.

(٣) وداد بنت عوض الجعيد: دور المرأة في الحياة السياسية والثقافية في العصر الأموي (دراسة عن بلاد الحجاز والشام والعراق ٤١ ـ ١٣٢هـ)، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبد العزيز ـ قسم التاريخ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، ١٠٠.

(٤) الطبري: المصدر السابق، ٤: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٥) كان طبيبًا عالمًا ماهرًا، وكان في أول أمره مقيمًا في الإسكندرية، ثم نقله عمر بن عبد العزيز إلى أنطاكية. انظر ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتعليق نزار رضا، بيروت ـ دار مكتبة الحياة ١٩٦٥م، ١٧١.

ماسرجويه[١] في تعريب كتاب أهدن بن أعين إلى العربية[٢].

وقد استعان الأمويون ببعض الأطباء مثل ابن أثال النصراني[٣]، وكان طبيبًا متميزًا في دمشق، قرَّبه معاوية بن أبي سفيان[٤]، كذلك أبو الحكم النصراني[٥]، اتخذه معاوية طبيبًا خاصًا له، كما تُرْجِمَتْ كتب الطب والنجوموالكيمياء لخالد بن يزيد بن معاوية[٦]، وقد سُمِّيَ بحكيم بني أمية[٧]، وكانت له اليد طولى في الطب[٨].

---

(١) الطبيب البصري كان إسرائيليًا في زمن عمر بن عبد العزيز، وربما قيل في اسمه ماسرجيس، وكان عالمًا بالطب، وهو الذي تولى في أيام مروان في الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن القس بن أعين وترجمته إلى العربية. له: كتاب قوي الأطعمة ومنافعها ومضارها، وكتاب قوي العقاقير ومنافعها ومضارها. ينظر: القفطي: أخبار العلماء بأخيار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، ٢٤٢؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٢٣٢.

(٢) أحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام منذ قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي، دمشق ـ دار دمشق ١٩٩٤م، ١٩٥؛ فيليب حتّى: تاريخ سورية، ١١٣؛ وكتاب أهدن ـ ويُقَال أهرن ـ (قوي الأطعمة ومنافعها ومضارها).

(٣) كان طبيبًا متقدمًا من الأطباء المتميزين في دمشق، نصراني المذهب، ولمَّا ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه والمحادثة معه ليلًا ونهارًا، وكان ابن أثال خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها وما منها سموم قواتل، وكان معاوية يقربه لذلك كثيرًا. ينظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ١٧١.

(٤) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ١٧١.

(٥) كان عالمًا بأنواع العلاج والأدوية، عُمِّر طويلًا حتى تجاوز المئة. انظر: ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ١٧٥.

(٦) ابن النديم: الفهرست، تعليق إبراهيم رمضان، بيروت ـ دار المعرفة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ٤٣٤؛ وأحمد عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ١٣٤.

(٧) المصدر نفسه، ٣٠٠؛ وفؤاد سلامة جميعان: مآثر العرب العلمية أساس حضارة الغرب، بيروت ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ٢٠٠١م، ٩٧.

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ٩: ٦٥.

وقد واصل الخلفاء العباسيون هذه الجهود؛ فقد أجرى المهدي (١٥٨ ـ ١٦٨هـ/٧٨٥ ـ ٧٩٥م) على المجذومين وأهل السجون في سائر الأقاليم[١]، وفي سنة (١٦٦هـ) قعد للناس قعودًا عامًا، وفرّق فيهم ثلاثة آلاف ألف درهم، وأغنى كل عائلٍ، وجبر كل كسيرٍ[٢].

كما اشتُهر المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/٨١٣ ـ ٨٣٣م) بحبه للعلم والعلماء، وكانت له بصيرة بعلوم عِدَّةٍ «وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم»[٣]، وقام بنقل كتب الحكمة من اليونانية إلى العربية[٤].

وعند حديث البلاذري عن السامرة ذكَرَ أنه في عهد هارون الرشيد كان بفلسطين طاعون جارف، فخربت أرضهم وتعطلت؛ فوكل السلطان بها من عمَّرَها، وتألف الأكرة والمزارعين إليها، فصارت ضياعًا للسامرة.

ولمَّا شكا السامرة إلى المتوكل سنة (٢٤٦هـ) والقاطنون في ضياعٍ تُدْعَى بيت ماما من كُورَة نابلس عجزَهم عن أداء الخَرَاج على خمسة دنانير، أمَرَ المتوكل بردهم إلى ثلاثة[٥].

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٨: ٢٥٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣م، ٤: ٢٧٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠: ١٤٥؛ عبد عون: موسوعة تاريخ العرب، ٢: ٢٠٣.

(٢) ابتسام أكرم مندورة: أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩هـ)، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ـ قسم التاريخ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ٣٣١.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق خيري سعيد، القاهرة ـ المكتبة التوفيقية، ٩: ٤١.

(٤) القلقشندي: مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد، بيروت ـ عالم الكتب، ٢٠٩.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ١٦٣.

المبحث الثاني

الزَّلازِل

كانت لمعاوية بن أبي سُفْيان ـ رضي الله عنه ـ جهود كثيرة في معالجة آثار الزلازل؛ فقد «أمر سنة (٦٠هـ) بترميم بيعة[١] الرها الكبرى[٢] وإعادتها إلى سابق عهدها، بعد أن هُدِمَتْ من الزَّلازِل»[٣]، وقام بترميم عَكَّا عند ركوبه منها إلى قبرص[٤]، ورمَّم صور، ثم إن عبد الملك بن مَرْوان جدَّدَهما وقد كانتا خَرِبَتَا[٥].

وقد بنَى سليمان بن عبد الملك(٩٦ ـ ٩٩هـ/٧١٥ ـ ٧١٧م) مدينة الرَّمْلَة[٦]،

---

(١) البِيعة بكسر الباء مفرد بِيع، وهي معبد النصارى، وقيل معبد اليهود. ينظر: الجوهري: الصحاح، ٣: ١١٨٩. البعلي: المطلع على أبواب المقنع، ط ١، تحقيق محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ـ مكتبة السوادي للتوزيع ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، ٢٦٧. ولسان العرب، ٨: ٢٦.

(٢) بضم أوّله، والمدّ، والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ، سُمِّيت باسم الذي استحدثها، وهو الرهاء بن البلندي بن مالك ابن دعر. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت ـ دار صادر ١٩٩٥م، ٣: ١٠٦. وابن شمائل القطيعي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج ٢، ط ١، بيروت ـ دار الجيل ١٤١٢هـ، ٦٤٤.

(٣) أ. س. ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف ١٩٦٧م، ٢: ٤٠، ٤١؛ وفليب حتّى: تاريخ سورية؛ وشفيق جاسر: تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية، ط ١، عمان ـ دار البشير ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ١٧٧.

(٤) فُتِحت مدينة قبرص في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، سنة ٢٨هـ. ينظر ابن كثير: البداية والنهاية، ٨: ٨٨. وابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، بيروت ـ دار الفكر ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ٢: ٥٧٦.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ١٢٤.

(٦) مدينة عظيمة بفلسطين، وهي في الإقليم الثالث، بينها وبين بيت المقدس اثنا عشر ميلًا. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ٣: ٦٩. ومراصد الاطلاع، ٢: ٦٣٣.

وهي من مدن فلسطين، وجعلها القصبة، ثم توالت الزَّلازِل عليها، فانتقل منها أهلها إلى البيت المقدس، ثم بنى بعدها مدينة اللدّ على أثر بنائها القديم[١].

وممَّا يؤكِّد عمْق النظرة الإيمانية عند خلفاء الأمة الإسلامية حينذاك، واعتبار حدوث الكوارث نذيرًا من الله للبشر، ما ذكره البلاذري أنه «أصابت الناس زلزلة سنة (٩٨هـ/٧١٧م)، فكتب عمر بن عبد العزيز: أما بعد فإن الله ذو قدرة غالبة وعزٌّ قاهر، يعفو عمَّن يشاء، ويُؤَاخِذ من أراد، وإن هذه الرجفة عتابٌ من الله لخلقه، فأعتبوه بطاعته، وخافوا عقابه، فإنه يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآيات ٩٧ ـ ٩٩ سورة الأعراف][٢].

وكتب إلى الأمصار: «أما بعد، فإنَّ الرجف شيء يعاتب الله تعالى العباد، وقد كتبت إلى الأمصار أن يخرجوا في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا؛ فمن كان عنده شيءٌ فليتصدق به؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾، وقولوا كما قال آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وقولوا كما قال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[٣].

ويحكي المقدسي عن الزلزلة التي حدثتْ في بيت المقدس زمن العباسيين،

---

(١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طُبع بمدينة بطربورغ، مطابع الأكاديمية الإمبراطورية، ١٣٨١هـ/١٨٦٥م، ٢٠١.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٨: ١٤٦.

(٣) الداء والدواء، تحقيق علي بن حسن الحلبي، الدمام ـ دار ابن الجوزي ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٧٤. وقد ذكرها ابن عبد الحكم في كتابه سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، ٦٤.

فيقول : «جاءت زلزلةٌ فطرحت المغطى إلا ما حول المحرابِ ، فلما بلَغَ الخليفة ـ أبا جعفر المنصور ـ خبرُه ، قيل له لا يفي برده بيت مال المسلمين ، فكتب إلى أمراء الأطراف وسائر القواد أن يبني كل واحد منهم رواقًا ، فبنَوْه أوثق وأغلظ صناعةً مما كان»[١] .

كما أمر المنصور «بقلع الصفائح الذهبية التي كانت على الأبواب من عمارته الأولى في عهد عبد الملك بن مروان ، فقُلِعَتْ ، وضُرِبَتْ دنانير ودراهم ، وأنفقه في عمارة شرقي المسجد وغربيه الذي وقع زمن الرجفة»[٢] .

وأمر بعمارة مدينة المصيصة[٣] على يد جَبْرائيل بن يحيى[٤] ، وكان سورها قد تشعث من الزلازل ، فبنى السور وسمَّاها المعمورة[٥] .

وفي سنة (١٥٨هـ/٧٧٥م) وقع البناء الذي أقامه المنصور في بيت المقدس

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبعة بريل مدينة ليدن ، ١٩٠٩م ، بيروت ـ دار صادر ، ١٦٨. كانت زيارة المنصور لبيت المقدس سنة (١٤٠هـ) بعد انقضاء الحج . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠: ٨٢.

(٢) القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ٣: ٣١٩ (بتصرف) ؛ ومحمد حسن شراب : بيت المقدس والمسجد الأقصى ، دمشق ـ دار القلم ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ٣٨٥؛ وشفيق جاسر : تاريخ القدس ، ٢١٥.

(٣) بالفتح ثم الكسر ، والتشديد ، وياء ساكنة ، وصاد أخرى ، وهي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس ، كانت من الأماكن التي يرابط بها المسلمون قديمًا . ينظر الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عوض مرعب ، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ٢٠٠١م ، ١٢: ٩٣؛ ياقوت : معجم البلدان ، ٥: ١٤٤.

(٤) عمل لأبي جعفر المنصور ، ولّاه سمرقند ، وأمره بعمارة مدينة المصيصة ، وفي سنة ١٤٧هـ سيَّره المنصور إلى محاربة الترك . ينظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ـ دار الكتاب العربي ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ٥: ١٤٩ ـ ١٦٢، ٢١٣.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤: ٦٤٦. ويؤرِّخ البلاذري لهذا الحدث بسنة ١٣٩هـ (فتوح البلدان ، ١٧٠) .

بسبب زلزال آخر[١]، فأمر المهدي بإعادة بنائه، فبُني المسجد هذه المرة بعناية كبيرة، وأُنفِقَتْ عليه أموال طائلة[٢].

كما يذكر البلاذري دور أبي جعفر المنصور في ترميم حصون الشام؛ فيقول: «لمَّا وَلِيَ أبو جعفر المنصور تتبَّعَ حصون السواحل ومدنها فعمَّرَها وحصَّنها، وبنى ما احتاج إلى البناء منها، وفعل مثل ذلك بمدن الثغور، ثملمَّا استخلف المهدي استتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها»[٣].

وفي سنة (١٦١هـ/٧٧٨م) تعرضت مدينة الحدث[٤] للثلوج، فقد: «هجم الشتاء والثلوج، وكثرت الأمطار، ولم يكن بناؤها بمُسْتَوْثَقٍ منه ولا مُحْتَاطٍ فيه، فتثلمت المدينة وتشعثت[٥]، فلمَّا ولي الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/٧٨٦ - ٨٠٩م) أمر ببنائها وتحصينها»[٦].

وقد شهدت فترة حكم الخليفتين المنصور والرشيد حركة اهتمام بتحصين

---

(١) لم تذكر المصادر المتقدمة هذه الزلزلة، أي بين عامَي ١٤١هـ - ١٦٠هـ، الذي يبدو لي أنه يقصد ترميمات للعمارة الأولى.

(٢) القرماني: المصدر السابق، ٣: ٣١٩ (بتصرف)؛ ومحمد حسن شراب: بيت المقدس والمسجد الأقصى، ٣٨٦؛ وشفيق جاسر: تاريخ القدس، ٢١٧؛ وشاكر مصطفى: جنوب بلاد الشام في العصر العباسي، ١٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ١٦٧.

(٤) بالتحريك، وآخره ثاء مثلثة: قلعة حصينة بين ملطية وشمشاط ومرعش، من الثغور. ويقال لها الحمراء لحُمْرة تربتها، وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب، كان حصن الحدث مما فُتِح في أيام عمر، رضي الله عنه، فتحه حبيب بن مسلمة الفهري من قبل عياض بن غنم، وكان معاوية يتعاهده بعد ذلك. ينظر ياقوت: معجم البلدان، ٢: ٢٢٧، ومراصد الاطلاع، ١: ٣٨٥.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ١٩٤؛ وياقوت: معجم البلدان، بيروت - دار إحياء التراث العربي، ٣: ١٢٥.

(٦) المصدر نفسه، ١٩٥؛ وابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دمشق - دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ١٩٣.

الثغور، كما أحدثا مواقع وحصونًا جديدة ذات أهمية عسكرية استراتيجية بالنسبة لخط الثغور البرية[١].

وفي أواخر سنة (٢١٦هـ/٨٣١م) زار المأمون بيت المقدس، وكانت قد حصلت زلزلة ثالثة بعد إصلاح المهدي، فأصاب المسجدَ خرابٌ، فأمر المأمون بتوزيع بنائه علىأمراء الأطراف وسائر القواد، وقام بالبناء قائده عبدالله بن طاهر[٢].

يقول المقدسي: «وللمغطى ستة وعشرون بابًا، باب يقابل المحراب يُسَمَّى باب النحاس الأعظم، وعن يمينه سبعة أبواب في وسطها باب مصفح مذهب، وعلى اليسار مثلهن، ومن نحو الشرق أحد عشر بابًا سواذج، وعلى الخمسة عشر رواق على أعمدة رخامأحدثه عبد الله بن طاهر»[٣]، كما قام المهدي بتجديد جامع السوق الأعلى بحماة من خَرَاج حمص[٤].

وفي سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) أعطى المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/٨٤٧ - ٨٦١م) ثلاثة آلاف ألف درهم لمن تتضرر من الزلازل[٥]، وتعتبر هذه الزلازل أقوى الزلازل

---

(١) هيام هاشم البدرشيني: الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في منطقة الثغور الإسلامية الجزرية الشامية في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٤٢.

(٢) محمد حسن شراب: بيت المقدس والمسجد الأقصى، ٣٨٦.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ١٦٨ - ١٦٩ (بتصرف)؛ وشاكر مصطفى: جنوب بلاد الشام في العصر العباسي، ٢٠؛ البلاذري: فتوح البلدان، ١٦٧؛ وعبد الله بن طاهر كان أمير خراسان، وكان إليه الحرب والشرطة، وكان أديبًا شاعرًا، تُوُفِّي سنة ٢٣٠هـ. انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥: ٥٠٢ - ٥٠٣.

(٤) ابن الوردي: التاريخ، ١: ١٣٧.

(٥) الطبري: التاريخ، ٥: ٣٢٨؛ وسارة عبد الله الدوسري: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٢٢هـ/١٤٢٣هـ، ٢٥٧.

التي ضربت بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأولى؛ وذلك لاتساع الرقعة التي شملتها وما ترتب عليها من الآثار.

المبحث الثالث

القَحْط وغَلاء الأسعار والمَجاعات

أدرك العرب أهمية الماء في الحياة، وقالوا: «أطيب الطيب الماء»[1]. ولقد أعطى العرب الماء مكانةً مهمةً وخاصةً ماء السماء، فتتبَّعوا أخباره وترقبوا قدومه، لهذا سُمِّيَ العرب بأبناء السماء[2].

وجاء الإسلام ليقرر هذه الأهمية الكبرى للماء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [من سورة الأنبياء].

حرص المسلمون على اللجوء إلى الله تعالى عند القَحْط، وهم في ذلك يقتدون بنبينا محمد ﷺ؛ فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رجلًا دخل يوم الجمعة من باب كان وُجَاهَ المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادْعُ الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: «اللهم اسقِنا، اللهم اسقِنا، اللهم اسقِنا... إلخ الحديث»[3].

---

(١) أبو حاتم السجستاني: المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية ١٩٦١م، ١٤٧، من وصية أبي الأسود الدؤلي لابنته ليلة البناء بها.

(٢) صلاح عبد الستار محمد الشهاوي: الماء في التراث العربي الإسلامي، مجلة الداعي الشهرية، مجلة إسلامية تصدر باللغة العربية عن الجامعة الإسلامية، دار العلوم ديوبند ـ الهند، العدد ١ ـ ٢، محرم ـ صفر ١٤٣١هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٩م ـ يناير ـ فبراير ٢٠١٠م، السنة ٣٤، ٥٧ ـ ٦٢. (بتصرف).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، ١: ٢٥٩، ورقم الحديث ١٠١٤.

وقد كان الخلفاء الراشدون أنموذجًا يُحْتَذَى به في تصرفاتهم وأعمالهم ؛ فقد عَمِلوا على تهيئة ما يمكن للترفق بالمسلمين ، فقد قام ـ على سبيل المثال ـ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سنة سبع عشرة من الهجرةبوضع ما بين مكة والمدينة مياهًا للسابلة ، واتخذ دارًا بالمدينة فيها الدقيق والسويقللمنقطع والضيف[١] .

وكانت بلاد الشام تفتقر إلى المجاري المائية الدائمة للري ؛ لذا كانت للأمطار أهمية كبيرة في تقرير مصير المواسم الزراعية ، بل إن الأنهار الدائمة مدينة بدوامها ـ بعد فضْل الله ـ لسقوط الثلوج وذوبانها ، كنهر العاصي ، وبردى ، ونهر الأردنّ[٢] .

لهذا فقد اهتم الأمويون بتوفير مصادر المياه ؛ فقد حفر معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ الآبار ، وأقام السدود للانتفاع بالمياه وإنشاء المصانع[٣]على الطرقات[٤] ، ووسَّع يزيد بن معاوية نهر بردى للإفادة منه بشكل أفضل[٥] .

كما كان ينفق من بيت المال في العهد الأموي لتحسين وسائل الري والزراعة[٦] ، كما أصلح عبد الملك بن مروان قناة حلب ، وكانت للشرْب فقط[٧] .

---

(١) ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

(٢) محمد محفل : ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر السوري (العصر الراشدي والأموي) ، المكتب التنفيذي للاتحاد العام للفلاحين ، ٢: ١٥؛ ومحمد زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية ، ٨٦.

(٣) المصانع ، الآبار والأبنية والأحواض تتخذ للماء . ابن منظور : لسان العرب ، ٨: ٢٩٢.

(٤) ثريا حافظ : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، قسم التاريخ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ١٦٩.

(٥) بدران : تهذيب تاريخ دمشق ، ١: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٦) عبد الله حسين الشنبري : نصارى الشام في ظل الحكم الإسلامي منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ ، ٥٦٨.

(٧) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى زكريا ، دمشق ـ=

وتذكر رجاء شوعي أن الخلفاء الأمويين خصَّصوا نفقات للنوائب والبوائق التي قد تصيب الأراضي الزراعية، واستَشهدت بجهود الخليفة هشام بن عبد الملك عندما صرف مبلغ مليونَيْ درهم في مصلحة الزراعة قرب النهر في الموصل[1]، وهذا يدل على اهتمامهم واعتمادهم على الزراعة بصفتها موردًا اقتصاديًا رئيسًا لخزينة الدولة في تلك الفترة.

وعلى صعيد المعالجات الرسمية لمواجهة القحْط قرَّر عبد الملك بن مروان وقْف الصوائف والشواتي سنة (٦٨هـ)؛ لأن القحط كانشديدًا بالشام، ونُوقِشَتْ في مجلسه مشكلة انحباس الأمطار والجدب، واقترح عليه الكيميائي خالد بن يزيد بن معاوية تحلية مياه البحر لحل المشكلة، وأجرى أمامه تجرِبة عملية على قلتَيْنِ من ماء البحر[2].

وقد أرسل إلى روح بن زنباع[3] قائلًا: «كيف نقول إذا قحطت السماء؟ قال: تقولون: اللهم الذنب الذي حبستَ عنا به المطر فإنا نستغفرك منه، فاغفر لنا،

=منشورات وزارة الثقافة ١٩٩١م، ١/ ١: ٣٤٠؛ وانظر: محمد محفل: ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر السوري (العصر الراشدي والأموي)، ٢: ١٦؛ والشنبري: نصارى الشام، ٥٦٩.

(١) رجاء شوعي: الإصلاح النقدي في العصر الأموي وأثره على اقتصاد الدولة وإدارتها، ٧٢.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق، ٨: ٣٧؛ وبدران: تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ٥: ١٢٢ ـ ١٢٣؛ وهاني أبو الرب: تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، الأردن ـ منشورات بيت المقدس، ٢٠١؛ وخليل داود: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني، رسالة ماجستير منشورة، ط ١، بيروت ـ دار الآفاق الجديدة ١٩٧١م، ١٨٢ ـ ١٨٣. (لعله يقصد تبخيرها ثم تصفيتها مما يرسب بها من أملاح). انظر: حاشية صفحة ٦٥٨ من رسالة الشنبري: نصارى بلاد الشام.

(٣) روح بن زنباح بن سلامة الجذامي، كان أميرًا على فلسطين، كان يقول عنه عبد الملك بن مروان: جَمَع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز، تُوُفِّي سنة (٨٤هـ). انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق خليل مأمون، بيروت ـ دار المعرفة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١: ٦٠٠؛ وابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق أحمد راتب ومحمد ناجي، دمشق ـ دار الفكر ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٨: ٣٤١.

واسقنا الغيث ... ثلاث مرات»[١] . كذلك أمر الوليد بن عبد الملك عُمَّاله بتسهيل الثنايا[٢]وحفر الآبار[٣] ، كما قام سليمان بن عبد الملك بحفْر قنوات وآبار لأهل الرمل[٤] .

ويذكر البلاذري : «أن عمر بن عبد العزيز لمَّا شخص إلى المصيصة بَنَى لأهلها جامعًا من ناحية كفربّيا[٥] ، واتخذ بها صهريجًا[٦] ، وكان اسمه مكتوبًا عليه»[٧] .

كما حفر الوليد بن يزيد نهر الأردنّ[٨] ، واتَّخذ هشام بن عبد الملك القنوات والبِرَك[٩] ، وأمر بحفرنهيرات صغيرة في دمشق وبكري[١٠] ، وترع[١١] دمشق

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق عمر العمري ، ـ دار الفكر ، ١٨: ٢٤٨؛ وابن أبي الدنيا : المطر والرعد والبرق والريح ، بيروت ـ المكتبة العصرية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ٧٢.

(٢) الثنية : الطريق في الجبل ، وقيل : هي العقبة ، وقيل : هي الجبل نفسه . ابن منظور : لسان العرب ، ٣: ٤٩.

(٣) ثريا حافظ : المصدر السابق ، ١٧٠.

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ١٤٩؛ ابن الفقيه : كتاب البلدان ، ليدن ـ مطبعة بريل ، ١٣٠٢هـ ، ١٠٢.

(٥) كفربيا : مدينة بإزاء المصيصة على شاطئ جيحان ، كانت مدينة كبيرة ذات أسواق كثيرة وسور مُحْكَم ، كانت قد خَرِبَتْ قديمًا ثم جدِّد بناءها الرشيد . الحموي : معجم البلدان ، ٧: ١٤٣.

(٦) الصهريج : واحد الصهاريج ، وهي كالحياظ ، مكان يجتمع فيه الماء . ابن منظور : لسان العرب ، ٨: ٢٩٨.

(٧) البلاذري : فتوح البلدان ، ١٧٠؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ١٤٦؛ ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ١٧٩.

(٨) الطبري : التاريخ ، ٤: ٢٤٤.

(٩) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ـ مؤسسة الأعلمي ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ٣: ٢٢٨.

(١٠) كري : حفر . ابن منظور : لسان العرب ، ١٣: ٥٩.

(١١) ترع : الترعة : فم الجدول ينفجر من النهر . لسان العرب ، ٢: ٢٢٢.

لشكوى الناس من قلة الماء[١].

وقد كان الوقف الإسلامي بنوعَيْه الخاص والرسمي[٢] حاضرًا في معالجة الكوارث بنحو وقائي؛ فقد أُوقفت الأراضي والدُّور والحوانيت، وغيرها، لأغراضٍ دينيةٍ وإنسانيةٍ، وللفقراء والمعوزين، والخدمات العامة[٣]، ومِن ذلك ما قام به مسلمة بن عبد الملك حيث أوقف أرضًا ببغراس[٤] في سبيل البر[٥].

كما أجرى المأمون قناة من نهر منين[٦] من جبل قَاسَيُون إلى معسكره بدير مُرّان[٧] [٨].

كما اهتم الخلفاء بالأسعار؛ فقد ذكر أبو يوسف أن رجلًا قال لعمر بن

---

(١) ثريا حافظ: المرجع السابق، ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) الأوقاف الخاصة هي التي يوقفها بعض الناس، والأوقاف الرسمية ما يوقفها الخليفة لمصالح الناس. محمد زيود: حالة بلاد الشام الاقتصادية، ٩٤.

(٣) انظر: محمد زيود: المرجه السابق، ٩٤ ـ ٩٥.

(٤) بغراس: مدينة على يمين مَن يقصد أنطاكية من حلب. قال الحموي: «كانت أرض بغراس لمسلمة بن عبد الملك، ووقفها على سبيل البرّ، وكانت بيد الإفرنج، وكانت من حصونهم القوية، فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٨٤هـ». ينظر البلاذري: فتوح البلدان، ١٦٤؛ ياقوت: معجم البلدان، ٢: ٣٦٨. مراصد الاطلاع، ٢٠٩.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ١٥٣.

(٦) بالفتح، ثم الكسر، ثم ياء ساكنة، ونون أخرى؛ هو نهر موجود في قرية في جبل سنير من أعمال الشام. ينظر: تاريخ دمشق، ٢: ٣٩١، ومعجم البلدان، ٥: ٢١٨، ومراصد الاطلاع، ٣: ١٣٢٧.

(٧) قلعة بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة، وبناؤه بالجصّ وأكثر فرشه بالبلاط الملون، وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة، وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني، والأشجار محيطة به، نزله الرشيد ونزله المأمون بعده. ينظر: أبو سعد السمعاني: فضائل الشام، تحقيق عمرو علي عمر، ـ دار الثقافة العربية ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ٦١. وياقوت: معجم البلدان، ٢: ٥٣٣، ومراصد الاطلاع، ٢: ٥٧٥.

(٨) بدران: تهذيب تاريخ دمشق، ١: ٢٥٢.

عبد العزيز: ما بال الأسعار عالية في زمانك وكانت في زمان الذي قبلك رخيصة؟ ... إلخ القصة[١].

كما خصَّص الخلفاء أوقاتًا للنظر في حوائج الرَّعِيَّة؛ فكان معاوية ـ رضي الله عنه ـ يأمر غلامه أن يضع له كرسيًا في المسجد، ويسند ظهره إلى المقصورة، ويقوم إليه الناس فينظر في أمرهم[٢].

كما أفرد عبد الملك بن مروان يومًا للمظالم[٣]، و«كان لهشام بن عبد الملك موضع بالرصافة يبرز فيه، فتُضْرَب له به السرادقات؛ فيكون فيه ستين ليلة بارزًا للناس، مباحًا للخَلْق، لا يُفْنِي أيامه تلك إلا بردِّالمظالم والأخْذ على يد الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد»[٤].

وَبَرَزَ بعضهم في هذا الجانب بشكلٍ واضحٍ؛ ومن ذلك الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، تقول زوجته فاطمة: «دخلت عليه وهو في مصلَّاه ودموعُه تجري على لِحْيته، فقلتُ: أحَدَثَ شيءٌ؟ فقال: إني تقلَّدْتُ أمْرَ أمَّة محمد ﷺ، فتفكَّرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والغازي، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض؛ فعلِمْتُ أن ربي سيسألنيعنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ؛

---

(١) أبو يوسف: الخراج، القاهرة ـ المطبعة السلفية ١٣٩٢هـ، ١٤؛ وانظر: عصام الدين عبد الرءوف الفقي: الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في مدينة دمشق من الفتح العربي إلى نهاية العهد الأموي، رسالة ماجستير، مقدَّمَة لكلية الآداب ـ جامعة القاهرة، ٧٣.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ٣: ٤٠. ونجدت خماش: الشام في صدر الإسلام، ٢٢٧.

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق سمير مصطفى رباب، بيروت ـ المكتبة العصرية ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٩٥. ونجدت خماش: الشام في صدر الإسلام، ٢٢٧.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ٢: ٢٢٧، تحقيق طه محمد الزيني، بيروت ـ دار المعرفة، ١٠٧. ونجدت خماش: المرجع السابق.

فخشيت ألا تثبت لي حجتي عند الخصومة، فرحمت نفسي فبكيت»[١].

وقد حرص خلفاء بني أمية على إخراج العطايا والأرزاق في وقتها؛ لما يترتب على حبس العطاء من الإضرار بمصالح الرعية، وتعرُّضهم للحاجة والعوز في وقت تصْعُبُ فيه المعيشة، وتقل فيه الأموال، وفي ذلك يقول معاوية ـ رضي الله عنه ـ: «ولا يصلح الناس إلا ثلاث: وذكر منها: إخراج العطاء عند محلِّهِ»[٢].

كما واصل جماعة من خلفاء بني العباس النظر في المظالم؛ فكان أول من جلس لها المهدي، ثم الهادي، ثم الرشيد، ثم المأمون، وآخر من جلس لها المهتدي[٣].

وكان أبو جعفر المنصور يأمر ولاة البريد في جميع الأقاليم أن يكتبوا إليه بأسعار المواد الغذائية، فإذا وجد تغيرًا في الأسعار كتب إلى ولاة الأقاليم متحريًا السببفي تغير الأسعار[٤].

ولم يقتصر هذا الاهتمام فقط على الخلفاء؛ بل إن بعض نساء البيت العباسي كان لهن دور في هذا المجال، فأمُّ جعفر بنت أبي جعفر المنصور[٥] أنفقت أموالًا كبيرةً في إقامة المباني العامة والخيرية في مناطق الثغور، بلغت قيمتها مئة ألف

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤: ٢٨٦. وانظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥: ٥٧٩؛ وابن كثير: البداية والنهاية، ٩: ٢٠٨.

(٢) عبد الرحمن بن رجاء الله الجامعي السلمي: خطب خلفاء بني أمية وأمرائهم، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قسم الأدب والبلاغة، ١٤٢٧ ـ ١٤٢٨هـ، ٧٣ ـ ٩٢.

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ٩٥.

(٤) الطبري: التاريخ، ٤: ٥٣٦.

(٥) زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية الهاشمية القرشية، كانت أحب الناس إلى الرشيد، لُقِّبَتْ بزبيدة لأن جدها أبا جعفر كان يلاعبها ويرقصها وهي صغيرة، ويقول: «إنما أنت زبيدة) لبياضها، اشتُهِرت بالصدقة والبر؛ ابن كثير: البداية النهاية، ١٠: ٢٩٤.

دينار[١]، كما أقامت دار ضيافة دائمة ببغراس، وأوقفت عليها الأوقاف[٢]، وكان في حَبْرَى[٣] قرية إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ضيافة دائمة[٤].

كذلك حرصت الدولة الإسلامية في العصر الأموي والعباسي على الاحتفاظ أحيانًا بعلاقات تجارية جيدة مع الدولة البيزنطية؛ وهذا لا شك أسهم في مواجهة ظروف القحط والمجاعات[٥].

واهتم الخلفاء بالتنظيمات المالية، ووضعوا دواوين عِدَّة لهذا الغرض، وحددوا مصارف أموال بيت المال بكل دقة، وخصصوا جزءًا منه لمساعدة الفقراء[٦].

واهتموا بتفعيل نظام الحسبة، ومراقبة الأسواق، ومنْع الاحتكار، في تنظيم إسلامي أصيل، كما كانوا يتابعون تغيُّرات الأسعار[٧]، ومن ذلك أن الوليد بن

---

(١) هيام هاشم البدر شيني: الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في منطقة الثغور الإسلامية، ٤٢.

(٢) الإصطخري: مسالك الممالك، ليدن ـ مطبعة بريل ١٩٣٧م، ٦٥؛ وابن حوقل: صورة الأرض، ليدن ـ مطبعة بريل ١٩٣٨م، ١٨٤؛ وسارة الدوسري: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي، ٢٥٧.

(٣) ويقال لها: حبرون، بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، ونون. وهياسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس، وقد غلب على اسمها الخليل. ينظر ياقوت: معجم البلدان، ٢: ٢١٢، ومراصد الاطلاع، ١: ٣٧٦.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ١٧٣.

(٥) عاطف رحال: تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي، بيروت ـ بيسان للنشر والتوزيع ٢٠٠٠م، ١٨٧ ـ ٢٠٩؛ وأحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام، ٣٣٠.

(٦) الماوردي: الأحكام السلطانية، فصل في الصدقات لمستحقيها، ١٤٣ ـ ١٤٦. وانظر: نجدت خماش: الشام في صدر الإسلام، ٣١٣ ـ ٣١٨.

(٧) الماوردي: الأحكام السلطانية، فصل في المعاملات المنكرة، ٢٧٣، ٢٧٤. وانظر: رجاء بنت شوعي محمد بن حسين: الإصلاح النقدي في العصر الأموي وأثره على اقتصاد الدولة وإدارتها (٤١ ـ ١٣٢هـ)، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبد العزيز ـ قسم التاريخ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٩٦.

عبد الملك كان يمر بالأسواق يُساوِم ويناقش في الأسعار مع البقالين وغيرهم[١]، وتدخَّل الخليفة هشام بن عبد الملك في تسعير بعض المواد الضرورية، كما كانت الدولة الأموية تدفع للتجار مالًا وقت الغلاء ثم ترجعه منهم وقت الرخص[٢].

وعندما وقع الحريق سنة (٢٦٤هـ) دخل أحمد بن طولون دمشق، وأمر بسبعين ألف دينار تخرج من ماله وتُعطَى كل من احترق له شيء[٣]، ثم أمر بمال عظيم يُفَرَّق على فقراء دمشق[٤].

ويذكر ابن الأثير أن أمور دمشق السياسية سنة (٢٩٠هـ) كانت مضطربة؛ نتيجة تَسَلُّط القَرَامِطَة[٥]، ولم يُفَك الحصار إلا بنجدات طولونية قَدِمَتْ مِن مصر[٦].

---

(١) رشاد عباس معتوق: نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون، رسالة ماجستير في الحضارة، جامعة أم القرى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٤٩.

(٢) رجاء شوعي: الإصلاح النقدي في العصر الأموي وأثره على اقتصاد الدولة، ٩٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٧١: ٢١٨. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠: ٤٨٧.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ١١: ٥٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦: ١٨٩ (بتصرف)؛ ومحمد أحمد زيود: حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني وحتى نهاية العصر الفاطمي، ٢١.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦: ١٩١.

الخاتمة والنتائج

كانت هذه محاولة لدراسة جزء يكتنفه الغموض من تاريخنا الإسلامي، في جانب جهود الدولة الإسلامية بمراحلها السياسية المتنوعة في القرون الثلاثة الأولى، في مواجهة الكوارث بأنواعها المختلفة.

أهم النتائج ما يلي

ـ قدَّم الإسلام سُبُلَ الوقاية من الوقوع في الكوارث ومسبباتها.

ـ أظهر الخلفاء الأمويون جهودًا واضحة في الاهتمام بالطب والعناية بالمرضى.

ـ طغى التفسير الديني على الناس عمومًا عند حدوث الزلازل، وكانت دافعًا للمسلمين لمحاسبة النَّفْس والتوبة إلى الله.

ـ اهتم الخلفاء بتوفير مصادر المياه والعناية بها ورعايتها ومراعاة أحوال الناس عند حدوث القَحْط.

ـ كان الوَقْفُ الإسلامي بنوعَيْهِ حاضرًا في معالجة بعض الكوارث كالقحط والمجاعات.

ـ كانت الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام جيدة خاصة في القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني، إبان العصر الأموي.

ـ ساعدت حركة الفتوحات الإسلامية سكان بلاد الشام على مواجهة الكوارث، أو على أقل الأحوال التخفيف من آثارها.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

ابن الأثير محمد بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، ط ٢، تحقيق خليل مأمون، بيروت ـ دار المعرفة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

أحمد بن حنبل: المسند، ط ١، حققه السيد أبو المعاطي النوري وزملاؤه، بيروت ـ عالم الكتب ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

أحمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ط ١، صيدا ـ المكتبة العصرية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الأزرقي أبو الوليد محمد بن عبد الله: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ط ١٠، تحقيق رشدي الصالح، مكة المكرمة ـ مكتبة الثقافة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

الإصطخري إبراهيم بن محمد: مسالك الممالك، ليدن ـ مطبعة بريل ١٩٣٧م.

الأصفهاني أحمد بن محمد: الأزمنة والأمكنة، ط ١، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتعليق نزار رضا، بيروت ـ دار مكتبة الحياة ١٩٦٥م.

البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، القاهرة ـ دار الفجر ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

البلاذري أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

البلاذري: أنساب الأشراف، ط ١، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت ـ دار الفكر ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط ١، تحقيق محمد عبد القادر، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الجوهري إسماعيل بن حماد: معجم الصحاح، ط ٢، بيروت ـ دار المعرفة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد: المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١م.

ابن حبان محمد بن أحمد البستي: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ط ٢، صححه وعلق عليه السيد عزيز بك، ـ مؤسسة الكتب الثقافية ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن حجر أحمد العسقلاني : بذل الماعون في فضل الطاعون ، ط ١، الرياض ـ دار العاصمة ١٤١١هـ .
ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تميز الصحابة ، ط ١، تحقيق خليل مأمون ، بيروت ـ دار المعرفة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .
ابن حوقل أبو القاسم بن حوقل : صورة الأرض ، ط ٢، ليدن ـ مطبعة بريل ١٩٣٨م .
خليفة بن خياط : تاريخه ، ط ١، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
ابن دقماق إبراهيم بن محمد : الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور وأحمد الدراج ، مكة المكرمة ـ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .
ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد : المطر والرعد والبرق والريح ، ط ١، بيروت ـ المكتبة العصرية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .
الذهبي محمد بن أحمد : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط ١، تحقيق بشار عواد ، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣م .
الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق خيري سعيد ، القاهرة ـ المكتبة التوفيقية .
ابن سعد محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ، ط ١، أعد فهارسها رياض عبد الله ، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
ابن الشحنة محمد بن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، دمشق ـ دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
ابن شداد محمد بن علي : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى زكريا ، دمشق ـ منشورات وزارة الثقافة ١٩٩١م .
شيخ الربوة الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بطربورغ ـ مطابع الأكاديمية الإمبراطورية ١٣٨١هـ/١٨٦٥م .
الطبري محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، ط ١، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
ابن عبد الحكم عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، ط ٦، تصحيح وتعليق أحمد عبيد ، بيروت ـ عالم الكتب ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ط ٣، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .
عبد الرحمن سنبط الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح وتعليق مكي السيد جاسم ، بغداد ـ مكتبة المثنى .

عبد القادر بدران : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ط ٣، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

ابن العبري جمال الدين غريغوريوس : تاريخ مختصر الدول ، ط ١، القاهرة ـ دار الآفاق ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

أبو عبيد القاسم بن سلام الأزدي : الأموال ، ط ١، تحقيق مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ـ مؤسسة ناصر للثقافة ١٩٨١م .

ابن عساكر علي بن الحسن : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق عمر العمري ، دار الفكر .

عصام الدين عبد الرءوف الفقي : الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في مدينة دمشق من الفتح العربي إلى نهاية العهد الأموي ، رسالة ماجستير ، مقدمة لكلية الآداب بجامعة القاهرة .

ابن الفقيه الهمذاني : كتاب البلدان ، ليدن ـ مطبعة بريل ١٣٠٢ه .

ابن قتيبة عبد الله بن مسلم : الإمامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزيني ، بيروت ـ دار المعرفة .

القرماني أحمد بن يوسف : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ط ١، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد ، بيروت ـ عالم الكتب ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

القزويني زكريا بن محمد : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ـ دار صادر .

القلقشندي أحمد بن علي : مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد ، بيروت ـ عالم الكتب .

ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط ٤، حقق نصوصه شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

ابن قيم الجوزية : الداء والدواء ، ط ٣، تحقيق علي بن حسن الحلبي ، الدمام ـ دار ابن الجوزي ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير) : تفسير القرآن العظيم ، ط ١٠، بيروت ـ دار المعرفة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ط ١، تحقيق أحمد عبد الوهاب ، مكة المكرمة ـ المكتبة التجارية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

الماوردي علي بن محمد : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط ١، تحقيق سمير مصطفى رباب ، بيروت ـ المكتبة العصرية ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

المسعودي علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط ١، بيروت ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ط ١، بيروت ـ عالم الكتب ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
المقدسي محمد أبو عبد الله: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت ـ دار صادرمن طبعة بريل ١٩٠٩م.
ابن منظور جمال الدين محمد: لسان العرب، ط ٦، بيروت ـ دار صادر ٢٠٠٨م.
ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ط ١، تحقيق أحمد راتب ومحمد ناجي، دمشق ـ دار الفكر ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
مؤلف مجهول: العيون والحدائق في إخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، بغداد ـ مكتبة المثنى.
موقع الشيخ يوسف القرضاوي على الشبكة الإلكترونية: http://www.qaradawi.net، من كتاب: فتاوى معاصرة ـ الجزء الأول، الخميس ٢٠٠١/٧/٥م.
ناصر خسرو: سفر نامه، ط ٢، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت ـ دار الكتاب الجديد ١٩٧٠م.
ابن النديم محمد بن إسحاق: الفهرست، ط ٢، تعليق إبراهيم رمضان، بيروت ـ دار المعرفة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
ابن الوردي عمر بن المظفر: تاريخه المسمى تتمة المختصر في تاريخ البشر، ط ١، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي.
أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: كتاب الخراج، ط ٤، القاهرة ـ المطبعة السلفية ١٣٩٢هـ.

ثانيًا: المراجع الحديثة

أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام منذ قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي، ط ٣، دمشق ـ دار دمشق ١٩٩٤م.
أحمد عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط ٢، القاهرة ـ دار الفكر العربي ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
أ. س. ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ط ٢، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٦٧م.
الألباني محمد بن ناصر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط ١، بيروت ـ المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
سوسن سالم الشيخ: إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، ط ١، القاهرة ـ دار النشر للجامعات ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

شفيق جاسر : تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين منذ فجر التاريخ حتى الحروب الصليبية ، ط ١، عمان ـ دار البشير ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

صلاح طهبوب : موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر الأموي) ، ط ١، عمّان ـ دار أسامة ٢٠٠٤م .

عاطف رحال : تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي ، ط ١، بيروت ـ بيسان للنشر والتوزيع ٢٠٠٠م .

عبد الرزاق الكيلاني : الحقائق الطبية في الإسلام ، ط ١، دمشق ـ دار القلم ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

عبد الله كامل موسى عبده : الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وإفريقية ، ط ١، القاهرة ـ دار الآفاق العربية ١٤٢٠هـ/٢٠٠٣م .

عبد علي ياسين : تاريخ صدر الإسلام من البعثة النبوية وحتى نهاية الدولة الأموية ، عمّان ـ دار يافا العلمية ٢٠٠٣م .

عبد عون الرطنان : موسوعة تاريخ العرب ، ط ١، عمّان ـ الأهلية ٢٠٠٤م .

فؤاد سلامة جميعان : مآثر العرب العلمية أساس حضارة الغرب ، ط ١، بيروت ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠١م .

فيليب حتّى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، بيروت ـ دار الثقافة ١٩٥٩م .

محمد أحمد باشميل : حروب الإسلام في الشام ، ط ١، ـ دار الفكر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

محمد أحمد زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني وحتى نهاية العصر الفاطمي ، دار الفكر .

محمد حسن شرّاب : بيت المقدس والمسجد الأقصى ، ط ١، دمشق ـ دار القلم ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

محمد خوام ورفاقه محمد عفت وحسن إبراهيم : تاريخ العلاج والدواء في العصور القديمة (العصر الإسلامي ـ عصر النهضة في أوروبا) ، الرياض ـ دار المريخ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

محمد محفل : ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر السوري (العصر الراشدي والأموي) ، المكتب التنفيذي للاتحاد العام للفلاحين .

مصطفى شاكر : جنوب بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢ ـ ٣٥٨ه ، عمّان ـ منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام ١٩٩٢م .

نجدت خماش : الشام في صدر الإسلام ، ط ١، سوريا ـ دار طلاس للدراسات والترجمة ١٩٨٧م .

هاني أبو الرب : تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ط ١، الأردن ـ منشورات بيت المقدس ٢٠٠٢م .

ثالثًا : الأبحاث والرسائل العلمية

ابتسام أكرم مندورة : أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩هـ) ، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ، قسم التاريخ ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

ثريا حافظ عرفة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، قسم التاريخ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

خليل داود الزور : الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني ، رسالة ماجستير منشورة ، ط ١، بيروت ـ دار الآفاق الجديدة ١٩٧١م .

رجاء بنت شوعي محمد بن حسين : الإصلاح النقدي في العصر الأموي وأثره على اقتصاد الدولة وإدارتها (٤١ ـ ١٣٢هـ) ، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبد العزيز ، قسم التاريخ ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .

رشاد عباس معتوق : نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون ، رسالة ماجستير في الحضارة ، جامعة أم القرى ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

سارة عبد الله الدوسري : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ١٤٢٢هـ .

صلاح التيجاني : معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة في عام الرمادة ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، الاقتصاد الإسلامي ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز .

صلاح عبد الستار محمد الشهاوي : الماء في التراث العربي الإسلامي ، مجلة الداعي الشهرية ، مجلة إسلامية تصدر باللغة العربية عن الجامعة الإسلامية ، دار العلوم ديوبند ـ الهند ، العدد (١، ٢) ، محرم ، صفر ، ١٤٣١هـ ، ديسمبر ٢٠٠٩م ، يناير ، فبراير ، ٢٠١٠، السنة ٣٤.

عبد الرحمن بن رجاء الله الجامعي السلمي : خطب خلفاء بني أمية وأمرائهم ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، قسم الأدب والبلاغة ، ١٤٢٧ ـ ١٤٢٨هـ .

عبد الله حسين الشنبري : نصارى الشام في ظل الحكم الإسلامي منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ .

ناصر محمد علي الحازمي : الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ٤٩٢ ـ ٦٩٠هـ ، رسالة دكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

هيام هاشم البدر شيني : الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في منطقة الثغور الإسلامية الجزرية الشامية في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، رسالة ماجستير في التاريخ ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .